

ما معنى أن الله أبغض عيسو؟ (ملاخي ١) بقلم إيرك أورتلند



وَحْيُ كَلِمَةِ الرَّبِّ لِإِسْرَائِيلَ عَنْ يَدِ مَلَاخِي: «أَحْبَبْتُكُمْ، قَالَ الرَّبُّ. وَقُلْتُمْ: بِمِ أَحَبَبْتَنَا؟ أَلَيْسَ عَيْسُو أَخًا لِيَعْقُوبَ، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأَحْبَبْتُ يَعْقُوبَ وَأَبْغَضْتُ عَيْسُو، وَجَعَلْتُ جِبَالَهُ خَرَابًا وَمِيرَاثَهُ لِدَنَابِ الْبَرِّيَّةِ؟ لِأَنَّ أَدُومَ قَالَ: قَدْ هُدِمْنَا، فَنَعُودُ وَنَبْنِي الْحَرْبُ. هَكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: هُمْ يَبْنُونَ وَأَنَا أَهْدِمُ. وَيَدْعُوهُمْ نُحُومَ الشَّرِّ، وَالشَّعْبَ الَّذِي عَضَبَ عَلَيْهِ الرَّبُّ إِلَى الْأَبَدِ. فَتَرَى أَعْيُنُكُمْ وَتَقُولُونَ: لِيَتَعَظَّمَ الرَّبُّ مِنْ عِنْدِ نَحْمِ إِسْرَائِيلِ. (ملاخي ١: ١-٥)

السُّلْطَانُ الإِلَهِيُّ:

تقدم الآية الأولى لهذا السفر ما هو أكثر من معلومات عن كاتبه البشري. كل كلمة فيها تدعم المصدر الإلهي وسلطانه على المقطع بأكمله؛ فكلمة "وَحْيٍ" دائماً ما تستبق النصوص النبوية (مثل، إشعياء ١٣: ١؛ ١٥: ١؛ ١٧: ١)، وتعني حرفياً "ثَقُلَ" (عدد ٤: ٤٧؛ ١١: ١١)، كما تحمل إحساساً بالإلحاح والاستعجال. ويُعرّف هذا الثَقُلَ على إنه كلمة من الله (قارن ٢ بطرس ١: ٢١) ينطق بها رسول بشري. وتعد هذه الكلمة النداء القدير للملك، العامل في التاريخ ليشكل أحداثه حسب مشيئته (إشعياء ٥٥: ١١؛ إرميا ١: ٩-١٠؛ ٢٣: ٢٩). تُخاطب هذه الكلمة إسرائيل، حتى وإن لم يبق في أيام ملاخي سوى سبط يهوذا. فجماعة ما بعد السبي هم ورثة جميع وعود الله لإسرائيل.

إن كلمة الله الأولى عبر ملاخي لا تدين خطية إسرائيل (بخلاف إشعياء ١: ٢-٣؛ إرميا ٢: ١-٣؛ حزقيال ٢: ٣-٤)، بل يعلن فيها محبته لهم. تعبر هذه الكلمة عن كل من العاطفة الشديدة والولاء الأصيل في جميع أنواع العلاقات البشرية (الزواج، تكوين ٢٤: ٦٧؛ الأبوين وأبنائهم، تكوين ٢٥: ٢٨؛ الأصدقاء المقربين، ١ صموئيل ٢٠: ١٧). كما تُدكّر بمواعيد الله القديمة عن محبته لإسرائيل في أسفار موسى الخمسة؛ لقد أحب الله أجيال إسرائيل الأولى واختارهم (تثنية ٤: ٣٧؛ ١٠: ١٥)، وأظهر لهم محبته بمباركتهم وإكثارهم (تثنية ٧: ١٣).

هذه المحبة سيادية وغير مشروطة، وما من سبب ورائها سوى شخص الله المُحب والأمين. توضح الصيغة المثالية للفعل محبة الله على أنها عمل كامل متكامل. يبدأ الله سفر المحاكمات هذا بإعلان محبته الثابتة والدائمة لشعبه.

توحي كلمة "يَم" أحيانًا إلى الدليل الظاهر لحدث قد وقع أو سيقع (تكوين ١٥: ٨؛ خروج ٣٣: ١٦). لا يرى سامعو ملاخي أي دليل على محبة الله لهم. يشعرون إنهم غير محبوبين إطلاقًا، وكما سئروا، هذا الشعور لم يكن أبدًا دون تبرير. لكن ملاخي فضح أعماق شكوكهم في الله لكي يدحضها.

محبة ثابتة ليست عن استحقاق:

يتحدى ملاخي ادعاء الشعب بأنهم غير محبوبين بتذكيرهم ببداية تاريخهم. على الرغم من تعقيد رواية يعقوب وعيسو (تكوين ٢٥-٣٦)، ويبدو فيها تبدل عيسو روحياً في أكثر من موقف (٢٥: ٢٩-٣٤؛ ٢٦: ٣٤-٣٥؛ ٢٨: ٦-٩)، يُظهر سفر التكوين أن نعمة الله رست على يعقوب قبل أن يولدا (٢٥: ٢٣؛ قارن رومية ٩: ١٠-١٣). على الرغم من أن حالتهما الأولى كانت واحدة، وطرفا المعضلة متعادلان كإخوة، أحب الله يعقوب وليس عيسو، لا لسبب أصيل في طبيعتهما. ولأن هذه المحبة لم تكن عن استحقاق، فاستمت بالثبات. من قبل ولادة أجدادهم، وقد أحب الله إسرائيل. تشير صيغة الفعل الماضي الناقص في الآية ٢ إلى محبة الله الثابتة ليعقوب، في حين صيغة الفعل الماضي التام في الآية ٣ تُظهر معارضته الثابتة غير المتغيرة نحو عيسو.

كما أن محبة الله تعني كلاً من العاطفة والولاء، كذلك البغضة في العهد القديم تعني المقت والازدراء (مزمور ١١٩: ١٦٣؛ الجامعة ٢: ١٨) والرفض والمعارضة (مزمور ٢٦: ٥؛ إشعيا ٦٦: ٥؛ زوجة محبوبة أقل "مكروهة"، تثنية ٢١: ١٥). قد لم ترى إسرائيل في أيام ملاخي أي دليل على محبة الله لها، لكن كان أمامهم دلائل وفيرة عن بغضته لآدم، حين جعل جباله خراباً. في العهد القديم، كانت الجبال رمزاً على الحصب والوفرة (تثنية ٣٣: ١٥؛ مزمور ٥٠: ١٠؛ ٧٢: ٣) والقوة والاستقرار (مزمور ٤٦: ٢؛ إشعيا ٥٤: ١٠)، مع ذلك خرب أقوى وأعجب مظهر لآدم، لكي لا ينمو أي شيء. بالإضافة إلى حرمان آدم؛ أُعطي ميراثه (قارن تثنية ٣٢: ٨-٩) لآكلي الجيف. فصورة الحيوانات النجسة التي تعيش في مدينة أو أرض كانت مأهولة قبلاً موجودة في مواضع أخرى تدل على دينونة الله (مزمور ٤٤: ١٩؛ إشعيا ١٣: ٢٢؛ ٣٤: ١٣؛ إرميا ٩: ١١؛ ١٠: ٢٢؛ ٤٩: ٣٣). حملت هذه الصورة دلالات شريرة عند بني إسرائيل قديماً، كما لو أن آدم تُرك لقوة روحية مُظلمة.

قد يبدو غريباً بل عدائياً بالنسبة لله لكي يثبت محبته لشعب بعينه بخراب شامل لشعب آخر. لكن السبي البابلي كان عذاباً مهلكاً ومروعاً لشعب الله مما أسّر آدم بخراب إسرائيل (مزمور ١٣٧: ٧)، كما أن استغلاله لضعف إسرائيل لمنفعته (حزقيال ٣٥: ١٥؛ عوبديا ١٠) يتردد صدها في صفحات أنبياء العهد القديم بوصفه شرّاً أثمياً. (كما لو أنه احتفال بهتك عرض فرد من أفراد الأسرة). فدينونة الله على آدم لم تُعد إجحافاً قط.

في سعيه لإقناع شعبه بمحبته الغابطة نحوهم، أمات الرب اعتراضًا في مهده. حين كان اقتصاد سبط يهوذا في حالة كساد أيام ملاخي النبي، كان ما لآدوم في نمو وازدياد (فَنَعُودُ وَنَبِييَ الْحَرْبِ)، كان من المتوقع نهوضهم مرة أخرى كأمة. لم يأخذ الرب مقدره آدوم على إعادة البناء على أنها مجرد أمني، بل أكد على بغضه لآدوم بهدم كل ما يشرعون في بنائه. ولُقب آدوم "بُتْخُومَ الشَّرِّ" أي أن الله ختم عليهم خطيتهم علانية وعلى مرأى الجميع كيلا يتساءل أحد لما أذان الله هذا الشعب.

عاقبة الخطية:

وُصِفَ مصير آدوم الروحي في عبارتين "بُتْخُومَ الشَّرِّ" و"الشَّعْبَ الَّذِي عَضِبَ عَلَيْهِ الرَّبُّ إِلَى الْأَبَدِ". تصف هاتان العبارتان كلاً من الأرض والشعب، السبب والعاقبة في دينونة الله الأبدية. إن كلمة عَضِبَ هنا متوازية مع كلمة "الْعَنُ" في عدد ٢٣: ٧، ومع "حمو غضب الله" في مزمور ٦٩: ٢٤ و زكريا ١: ١٢. خضعت آدوم إلى الأبد لغضب الله العادل والمتقد بسبب خطاياهم.

تختتم آية المقطع الأخيرة وصف إثبات الله لبغضته لآدوم بالتحويل إلى الطريقة التي بها يثبت محبته لإسرائيل. قد يظن المرء أن الله سيؤكد لإسرائيل (على عكس آدوم) نهوضها وازدهارها، أو عدم استغلالها مرة أخرى. بل على النقيض، تحول نظر شعب الله إلى تمجيد الله لذاته خارج تخومهم.

هذه الآية القصيرة سهلة مُمتنعة وفي غاية الأهمية. أي أن إسرائيل "ستري" أي ستتحوّل شكوكها السابقة في محبة الله لها، بعدما ادعوا إنهم لا يرون هذه المحبة (آية ٢). الآن سيتحدثون بنقيض ذلك وعلى اقتناع واضح. لكن حديثهم يتعلق بالكامل بالله ومجده، لا أنفسهم. كثيراً ما ظهرت عظمة الله في تدخلاته بدلاً عن إسرائيل (مزمور ٩٢: ٥؛ ١٢٦: ٢-٣) أو عن شخصيات من إسرائيل (مزمور ٣٥: ١٧؛ ٤٠: ١٧؛ ٨٦: ١١). التحدث عن عظمة الله هو تقديم المجد له (قارن إشعياء ٤٢: ٢١) والتعظيم (مزمور ٩٩: ٢). في هذه العبارة الموجزة، صور ملاخي دهشة إسرائيل في المستقبل من مجد الله المرثي أثناء تحقيقه للعدل في الأرض.

لا ينبغي تجاهل التوابع العالمية لهذا التعظيم — لِيَتَعَظَّمِ الرَّبُّ مِنْ عِنْدِ تَحْمِمْ إِسْرَائِيلَ. تتمركز عظمة الله داخل تخوم شعب عهده، لكنها ليست محدودة بها. بهذا يعبر الله عن محبته لشعبه المهزوم والمُهَانِ؛ سيُجري عدلاً في الأرض لمجده العظيم.

تم ترجمة هذه المقالة بعد الحصول على الإذن من مؤسسة (Crossway).